ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

جدلية العلاقة بين الفكر الديني والدين في ضوء السنة النبوية

سماح حميد حاجي جامعة تم فرع علوم القرآن والحديث

الكاتب المسؤول الدكتور محمد كاظم رحمان ستايش أستاذ علوم القرآن والحديث جامعة لم

The Dialectical Relationship between Religious Thought and Religion in Light of the Prophetic Sunnah

Samah hameed haji University of Qom, Department of Quranic and Hadith Sciences
zz2264493@gmail.com
(Responsible writer) Dr. Muhammad Kazim Rahman Staish Professor of Quranic and Hadith Sciences, Qom University

المستخلص:

تسعى هذه المقالة إلى تحليل جدلية العلاقة بين الدين والفكر الديني في ضوء السنة النبوية، وذلك من خلال التمييز بين الدين يوصفه وحياً ثابتاً ومصدراً مطلقاً، والفكر الديني بوصفه نتاجاً بشرياً اجتهادياً يتأثر بالزمان والمكان والظروف الاجتماعية والثقافية، فالخلط بين هذين المستويين كان عبر التاريخ أحد أهم أسباب الالتباس الفكري والاضطراب في الخطاب الديني، حيث أدى أحياناً إلى الجمود والتقليد، وأحيانا أخرى إلى الغلو والتطرف، ومن هنا جاءت أهمية العودة إلى السنة النبوية باعتبارها المرجعية التفسيرية والتطبيقية للنص القرآني، والميزان الذي يحدد مدى صحة الفكر الديني وانسجامه مع جوهر الدين أظهرت الدراسة أن الدين يتميز بالثبات والإطلاق، في حين أن الفكر الديني لو طبيعة نسبية قابلة للتغير والنقد والمراجعة، وهو ما يتيح المجال واسعا أمام التجديد المطلوب في الخطاب الديني بما يتلاءم مع متغيرات العصر، دون أن يمس ذلك أصول الدين ومقاصده الكبرى. كما بينت أن السنة النبوية جنت مبادئ الوسطية والاعتدال، وقدمت نموذجاً عملياً للتوازن بين النص الثابت والاجتهاد المتغير، حيث أقر النبي – الاجتهادات الصحيحة، وصحح الخاطئة، مما يؤكد مرونة الفكر الديني ضمن الضوابط الشرعية، وتوصلت المقالة إلى أن العلاقة بين الدين والفكر الديني. ليست علاقة تضاد أو صراع بل علاقة تكاملية، إذ يمثل الدين المرجعية الكلية الثابتة، بينما يقوم الفكر الديني بوظيفة الفهم والتنزيل في الواقع العملي، وبذلك تبرز الحاجة في الوقت الراهن إلى إعادة الاعتبار للتمييز بين الثابت والمتغير، وتفعيل السنة النبوية كمرجع ضابط يوجه عملية الاجتهاد ويجعلها أكثر اترانا وارتباطا بجوهر الدين.الكلمات المفتاحية الجدلية الفكر، الدين، السنة النبوية

المقدمة:

تأتي السنة النبوية الشريفة باعتبارها المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، لتؤكد وتوضحوتفصل ما جاء في كتاب الله ولتكون مرجعا أساسيا لفهم الدين وتطبيقه في الواقع، وإذا كان القرآن الكريم قد وضع الأصول والقواعد العامة، فإن السنة النبوية جاءت لتكشف عن التطبيق العملي لهذه المبادئ في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بحيث تمثل السنة تجسيدا حيا للفكر الديني المتجذر في النصوص المقدسة، إن جدلية العلاقة بين الفكر الديني والدين في ضوء السنة النبوية تظهر بوضوحمن خلال التفاعل بين النصوص الشرعية والفهم البشري لها. فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقتصر دوره على التبليغ فقط بل كان معلما وهاديا، يشرح معاني الدين ويوجه الفكر الديني نحو الوسطية والاعتدال، ويربط بين النصوص ومتطلبات الواقع، وقد عكس ذلك في قوله: تركت فيكمأمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي، مما يدل على أن السنة لا تنفصل عن القرآن بل تكمله وتفتح آفاقا جديدة لفهم الدين وتطبيقه، كما أن دراسة السنة تكشف عن الجانب التطبيقي الجدلي للفكر الديني، حيث يظهر التداخل بين النصوص الشرعية من جهة، والاجتهاد البشري في التعامل معها من جهة أخرى، فالسنة تضمنت تصوضا قطعية تشكل ثوابت دينية، وفي الوقت ذاته تضمنت اجتهادات نبوية مرتبطة بالواقع المتغير، ما يفتح المجال أمام الفكر الديني الممارسة دوره في الفهم، والتحليل، وإيجاد الحلول للمستجدات إن هذا الفصل يهدف إلى بيان الكيفية التي أسهمت بها السنة النبوية في بلورة التفاعل الجدلي بين النص الديني والفكر

البشري، وكيف كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم النموذج الأكمل في تجسيد الدين من جهة، وفي توجيه الفكر الديني نحو الفهم الصحيحمن جهة أخرى، مما يجعل السنة محورا أساسيا لفهم الدين بصورة متوازنة تجمع بين الثبات والمرونة. تظهر التراث النبوي أن النبي لم يكن يقتصر على التبليغ والوحي، بل فتح المجال لاجتهاد الصحابة في فهم النصوص وتنزيلها على الوقائع، بل وصحح أحيانا أو عدل من اجتهاداتهم، مما يكشف عن جدلية مستمرة بين النص القطعي الثابت (الدين) وبين التفسير والتأويل البشري (الفكر الديني). هذه الجدلية ليست سلبية، بل شكلت أسانا لبناء منهج الاجتهاد والتفاعل مع النصوص.

أبرز الجدليات في ضوء السنة النبوية

1 جدلية الثابت والمتغير السنة فرقت بين ما هو تشريع ثابت كالعيادات وما هو متغير بحسب الزمان والمكان كالمعاملات. مثال: قول النبي : أنتم أعلم بأمور دنياكم" (رواه مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم (٢٣٦٣). هذا النص يظهر أن الفكر الديني له مجال واسع في الشؤون الدنيوية، بينما الدين نص إلهي ثابت في القيم والعبادات .

2 جناية النص والاجتهاد النبي اقر اجتهاد بعض الصحابة حتى في حضرته مثال: حديث معاذ بن جبل حين بعثه النبي إلى اليمن، فسأله لم تحكم؟ قال: بكتاب الله قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله قال فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي ولا الو، فضرب النبي صدرهوقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله (رواه أبو داود، السنن، كتاب الأقضية،*)٣٥٩٢(حديث رقم النتائج: يظهر في السنة النبوية أن هناك تفريقا واضحا بين ما هو ثابت تعيدي تشريعي وما هو متغير مرتبط بالواقع رؤية المحدثين والأصوليين في هذا الموضوع اهتم المحدثون بان أن بعض الأوامر النبوية مرتبطة بالزمان والبيئة، في حين أن أخرى مرتبطة بالتعبد، فقد أشار ابن حجر العسقلاني إلى هذا التمييز عند شرحه تحديث (أنتم أعلم بأمور دنياكم). أما الأصوليون، فقد جعلوا هذا التفريق أصلا منهجيا، إذ قرر الغزالي أن الأحكام القطعية ثابتة بينما الظنية مجال للاجتهاد والشاطبي بدوره أكد أن العيادات تمثل الثابت بينما المعاملات مجال للتغير تبعا المصالح. موقف المتكلمين والفلاسفة ذهب المتكلمون إلى أن الأحكام العقلية يمكن أن تميز بين ما هو ثابت وما هو متغير، مع ضرورة الالتزام بالنص، بينما رأى الفلاسفة المسلمون أن النصوص الدينية تحمل غايات ثابتة (المقاصد) لكن صور تطبيقها متغيرة، كما أوضح ابن رشد في فصل المقالة.

المبحث الأول: الأحاديث النبوية المتعلقة بالعلاقة بين الفكر والدين

ان السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وهي تمثل التطبيق العملي والتحصيلي المبادئ الدين. وقد تضمنت جملة من الأحاديث التي تظهر بوضوح مركزية الفكر في بناء المنظومة الدينية، سواء في تعميق الإيمان، أو في تفعيل الاجتهاد لفهم النصوص، أو في التحذير من تعطيل العقل والتقليد الأعمى إن دراسة هذه الأحاديث تمثل مدخلا مهما لإبراز التلازم الجدلي بين الفكر والدين في التصور الإسلامي، وتؤكد أن الفكر ليس عنصرا خارجا عن الدين، بل هو شرط الفهمه وتفعيله.تحتل السنة النبوية مكانة أساسية في بناء المنظومة المعرفية الإسلامية، حيث يعد البيان العملي والشرح التطبيقي للوحي القرآني، وقد تضمنت الأحاديث النبوية الشريفة إشارات متعددة إلى دور الفكر في تدعيم الدين وفهمه وتطبيقه إن العلاقة بين الفكر والدين في السنة تتجلى في تعدين أساسيين:

١ البعد الإيماني الذي يؤكد على أن التفكير سبيل إلى معرفة الله وادراك عظمته.

٢ البعد التشريعي المعرفي الذي يبرز أن الذين لا يفهم ولا يطبق إلا من خلال إعمال الفكر والاجتهاد

وبالتالي فإن دراسة الأحاديث النبوية ذات الصلة بالعلاقة بين الفكر والدين تكشف عن رؤية متكاملة تجعل الفكر أداة لفهم الدين وحمايته من الجمود والتحريف المحور الأول: الفكر وسيلة لتعميق الإيمان في السنة النبوية وردت أحاديث عديدة تدعو إلى التفكر والتأمل كطريق المعرفة الله وترسيخ الإيمان قوله : تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله هذا الحديث يوجه الفكر الإنساني نحو التأمل في المخلوقات باعتبارها دلائل على الخالق، ويحذر من محاولة إدراك ذات الله بالعقل لما يتجاوز طاقة الإنسان وقوله : ساعة تفكر خير من قيام ليلة. يظهر هذا أن التفكير والتأمل في الحقائق الكونية يعادل عبادة عملية، مما يبين قيمة التفكر في الدين. تحليل تكشف هذه النصوص أن النبي جعل من التفكير عبادة عقلية ووسيلة لترسيخ التوحيد. بحيث يصبح الفكر أناة مكملة الشعائر التعبدية، مما يدمج البعد العقلي بالبعد الروحي. المحور الثاني: الفكر أداة لفهم النصوص وتفعيل الاجتهاد. ترتبط السنة النبوية بالدعوة إلى الاجتهاد وإعمال الرأي في فهم الدين قوله المعاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن ثم تقضي قال: بكتاب الله قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله قال فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي ولا ألو قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله. هذا الحديث بعد أصلا في مشروعية الاجتهاد، ويؤكد أن الفكر جزء جوهري من آلية فهم الدين وتنزيله على الواقع قوله : تنصر الله امرا سمع . منا حديثاً فبلغه كما سمعه، قرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .هنا يتضح أن عملية نقل الحديث ليست مجرد رواية لفظية، بل قد يكون السامع

أقل فهما من المتلقي الذي يوظف فكره في استنباط دلالاته.تحليل بين هذان الحديثان أن الفكر أداة لا على عنها في استيعاب الدين وتطوير فهمه وفق مقتضيات الزمان والمكان، مما يجعل العلاقة بين الفكر والدين علاقة تلازم وتكامل. المحور الثالث التحذير من تعطيل الفكر في الدين.تتضمن السنة النبوية تحذيرات من تعطيل ملكة التفكير أو الانسياق وراء التقليد الأعمى قوله لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم: إن أحسن الناس أن تصلوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا" (رواه الترمذي).هذا الحديث يحث على الاستقلالية الفكرية والنقدية، ويمنع من تعطيل العقل في الدين أو في الممارسة الاجتماعية.كما قال : إنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم" (رواه البخاري ومسلم). يشير إلى أن الانحراف الديني قد ينشأ من سوء توظيف الفكر عبر الجدل العقيم والتصف في الأسئلة.تحليل النبي يوازن بين ضرورة إعمال الفكر في الدين وبين التحذير من الغلو في الجدل العقلي الذي يؤدي إلى الانقسام والفتنة. وهذا يوضح أن الفكر في الإسلام ليس مطلقاً بلا ضوابط، بل هو مؤطر بالقيم الشرعية والغايات الدينية.تظهر الأحاديث النبوية أن الفكر والدين ليسا في حالة تقابل أو تضاد، بل في حالة تكامل، فالفكر أداة تفهم الدين وتعميق معانيه والدين إطار يوجه الفكر ويضبط مساره، كما عين السنة أن تعطيل الفكر يقضي إلى الجمود والتقليد، بينما توظيفه في دائرة الوحي يثمر اجتهاداً حيا وتجديداً مستمرا.التصنيف الموضوعي للأحاديث النبوية الصنف نص الحديث المصدر الدلالة الحاديث التفكر والتأمل تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله رواه أبو نعيم في الحلية توجيه العقل للتأمل في المخلوقات لطريق المعرفة الخالق ساعة تفكر خير من قيام ليلة رواه البيهقي في شعب الإيمان اعتبار التفكير عبادة عقلية تعادل عبادة بدنية أحاديث الاجتهاد والفهم حديث معاذ بن جبل: أجتهد رأيي ولا الو" رواه الترمذي وأبو داود القرار النبي بالاجتهاد كوسيلة لفهم الدين. نضر الله امرا سمع منا حديثاً فبلغه كما سمعه، قرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه رواه أبو داود والترمذي إبراز دور الفكر في استنباط المعاني الأعمق من النصوص أحاديث التحذير من تعطيل الفكر والتقديد لا تكونوا إمعة "رواه الترمذي الدعوة للاستقلالية الفكرية ورفض التقليد الأعمى، إنما أملك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم. " رواه البخاري ومسلم التحذير من الغلو في الجدل العقلي الذي يؤدي إلى الانقسام. التحليل الموضوعي للأحاديث.

ا في بعد التفكر والتأمل يتضح أن النبي جعل من التفكير عبادة عقلية تقوي الإيمان، وتفتح أفقا معرفيا للتأمل في الكون بوصفه مرأة لآيات الله وهذا يرشح دور الفكر في تعميق التوحيد وربط الإنسان بخالقه

٢ في بعد الاجتهاد والفهم السنة النبوية أقرت الاجتهاد كمنهج عقلي لفهم الدين وتطبيقه، فالعقل هنا ليس مجرد مطلق، بل فاعل في بناء الفقه وتطويره، بما يواكب حاجات المجتمع والزمان.

٣ في بعد التحذير من تعطيل الفكر تبين الأحاديث أن تعطيل العقل يؤدي إلى التقليد والجمود، وأن سوء توظيف الفكر في الجدل العقيم يؤدي إلى الانحراف ومن هنا جاء التوجيه النبوي لتحقيق التوازن إعمال العقل في حدود الشرع.وتجنب الإفراط والتفريط. "إذن نود أنه:السنة النبوية تؤكد على أن الفكر وسيلة أساسية لتعميق الإيمان وترسيخ التوحيد.

٢ الفكر في السنة ليس معزولا عن الدين، بل يعتبر آلية ضرورية لفهم النصوص واستنباط الأحكام عبر الاجتهاد.

٣ النبي أرشد إلى التوازن تشجيع التفكر النافع والاجتهاد الرشيد، مع التحذير من الغلو في الجدل أو تعطيل العقل بالتقليد.

العلاقة بين الفكر والدين في السنة علاقة تلازم وتكامل، حيث يشكل الفكر وسيلة لإحياء الدين وتجديد فهمه، بينما يشكل الدين إطارا موجها يضبط حركة الفكر .بعد علم الحديث من أجل العلوم الإسلامية وأعظمها شرقا، فهو العلم الذي يتولى مهمة حفظ وصيانة ما نقل عن النبي محمد من أقوال وأفعال وتقارير هذا العلم لم يظهر فجأة بل نشأ وتطور عبر مراحل تاريخية دقيقة، بدءا من التدوين الفردي في عهد الصحابة، مرورا بالتدوين الرسمي في عهد التابعين، وصولا إلى مرحلة التصنيف والتبويب التي أثمرت لنا كنوزا علمية.أهمية هذا العلم في أنه ليس مجرد نقل تاريخي، بل هو الأساس الذي يقوم عليه فهمنا للدين، ففهم الفكر الديني الصحيح يتوقف بشكل كبير على صحة المصدر النبوي، ولهذا اهتم العلماء بوضع منهجية صارمة لا تقتصر على جمع الأحاديث فحسب، بل تمتد إلى تحليلها وتمحيصها، هذا التحليل يعتمد على منهجين متكاملين علم الرواية التي يهتم بسلامة السند ورجاله، وعلم الدراية الذي يركز على متن الحديث نفسه ومدى توافقه مع الأصول الشرعية الأخرى.إن الغوص في هذا العلم يكشف لنا عن العبقرية المنهجية التي اتبعها علماء الأمة للحفاظ على السنة النبوية، مما جعل الفكر الديني يستند على أسس ثابتة وقوية بعيدة عن التأويلات الخاطئة أو الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ومن هنا سنتناول تلك المراحل والمنهجيات بالتفصيل، مستعرضا أبرز المصادر التي أسهمت في بناء هذا الصرح العلمي الشامخ علم الحديث هو علم عظيم يهدف إلى حفظ وتحليل ما جاء عن النبي محمد من أقوال وأفعال و تقريرات. يتطلب دراسة هذا العلم منهجية دقيقة للتمييز بين ما هو صحيح وثابت وما هو ضعيف أو موضوع، وذلك لضمان صحة الفكر الديني.

المبحث الثاني: تحليل نقدي للأحاديث ذات الصلة

بعد أن استعرضنا في المبحث الأول مراحل جمع وتصنيف الأحاديث، كان لزاما علينا أن تنتقل إلى مرحلة أكثر دقة وحساسية، ألا وهي التحليل النقدي لهذا الميراث العظيم، إن الأحاديث النبوية رغم أنها مصدر رئيسي للفكر الديني، إلا أنها تعرضت غير التاريخ للعديد من محاولات الدس والوضع، مما استدعى من علماء الحديث أن يضعوا منهجية صارمة للتفريق بين ما هو صحيح وما هو مكذوب. لناء يأتي هذا المبحث ليسلط الضوء على اليات هذا النقد، والتي لا تختصر على التحقق من صحة السند (سلسلة الرواة) فحسب، بل تمتد لتشمل التدقيق في المتن (مضمون الحديث نفسه، إن هذه المقاربة النقدية المزدوجة هي التي مكنت الأمة من الحفاظ على أصالة السنة النبوية، وضمان أن الفكر الديني يستمد قوته من مصدر موثوق لا تشوبه شائبة.

أولا: النقد المندي (نقد الرواية)بعد النقد السندي حجر الزاوية في علم الحديث، ويقوم على مبدأين أساسيين:

أ- علم الجرح والتعديل: يهدف هذا العلم إلى دراسة أحوال الرواة من حيث عدالتهم (استقامتهم الدينية والأخلاقية) وضبطهم (دقتهم في الحفظ والأداء). فعندما ينظر في حديث ما، يتم التحقق من جميع الرواة في سنده، وإذا وجد راو ضعيف أو متهم بالكتب، يحكم على الحديث بالضعف أو الوضع.

ب الاتصال السندي: يجب أن يكون السند متصلاً من أوله إلى آخره. فإذا وجد انقطاع في السند.مثل أن يكون أحد الرواة لم يسمع من شيخه، يعتبر الحديث منقطعا، مما يضعف درجته.

تانيا: النقد المتني (نقد الدراية)النقد المتني هو المرحلة التي تأتي بعد ثبوت صحة السند، وهو تحليل دقيق النص الحديث نفسه.

من أهم قواعد هذا النقد موافقة الحديث للقرآن الكريم: يجب أن يكون الحديث متوافقا مع نصوص القرآن الكريم، فإذا عارض الحديث آية قرآنية محكمة، فإنه يحكم عليه بالضعف أو التأويل، على سبيل المثال، الأحاديث التي قد تفهم منها أنها تجير القسوة المطلقة لا يمكن أن تتعارض مع روح القرآن التي تدعو الرحمة. عدم مخالفة الحديث للمنطق والعقل السليم الأحاديث الصحيحة لا يمكن أن تتناقض مع العقل الصريح، فإذا كان متن الحديث يتضمن أمرا مستحيلاً أو سخيفا يخالف القواعد العقلية، فإنه ينظر فيه يعين الشك، حتى لو كان سنده صحيحًا، على سبيل المثال، الأحاديث التي تصف قدرات خارقة للعادة لا تتفق مع القوانين الكونية، يتم التعامل معها بحذر.عدم مخالفة الحديث للأحاديث الأخرى الصحيحة يجب أن يكون الحديث متوافقا مع الأحاديث الأخرى الثابتة في الصحيحين وغيرهما، إذا كان هناك تعارض بين حديثين صحيحين، يتم اللجوء إلى الجمع بينهما أو الترجيح، أو النسخ إذا ثبت تأخر أحدهما عن الآخر).عرض الحديث على السيرة النبوية والسياق التاريخي: يجب أن يكون الحديث متوافقا مع سيرة النبي وأحوال عصره أي حديث يتحدث عن أمر لا يمكن أن يكون قد حدث في ذلك الوقت، بعد ضعيفا.

ثالثا : نماذج تطبيقية للنقد مثال على نقد السند حديث من صلى علي بعد صلاة الجمعة الف مرة ". هذا الحديث بعد موضوعا (مكتوب)، لأن روانه مجاهيل أو متهمون بالكتب، مما أضعف معده.مثال على نقد المتن: حديث: الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام، هذا الحديث، عند تحليله منها، يفهم على أنه يشير إلى الداء الذي يصيب البدن، ولا يمكن أن يفهم منه أنه يشفي من الموت. (السام)، مما يجعله متوافقا مع العقل والواقع.إن الجمع بين النقد السندي والنقد المتني يمثل منهجية متكاملة لضمان فهم صحيح للأحاديث. هذا المنهج لا يهدف إلى التشكيك في السنة، بل إلى تطهيرها وحمايتها، مما يعزز مكانتها كمصدر أصيل للفكر الديني، هذه المقاربة النقدية هي السبيل لبناء فكر إسلامي متوازن لا يغالي في قبول كل ما بروى، ولا يهمل ثروة السنة النبوية العظيمة.لطالما نظر الكثيرون إلى السنة النبوية الشريفة باعتبارها مصدرا التشريعات والأحكام الفقهية فحسب. ورغم أن هذا الدور هو أحد أركانها الأساسية، إلا أن قصر فهم السنة على هذا الجانب فقط يغفل تراءها الفكري والمنهجي العميق، إن أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته لم تكن مجرد نصوص جامدة، بل كانت تجسيدا حيا لمنهج فكري متكامل يهدف إلى بناء عقل واع ومجتمع متقدم.إن السنة النبوية، في جوهرها، في مشروع فكري يفتح آفاقا واسعة للتأمل والتدير. إنها تحث على التفكير النقدي، وتدعو إلى التوازن، وتؤسس المبادئ علمية وإنسانية خالدة، إن الاستنتاجات الفكرية التي يمكن استخلاصها من السنة لا تقتصر على الجوانب الروحية والأخلاقية، بل تمتد لتشمل رؤى عميقة في مجالات المعرفة، والعلم، والاجتماع، وحتى الاقتصاد، مقدمة خارطة طريق للحياة لا تزال صالحة لكل زمان ومكان من خلال تحليل الأحاديث النبوية، يمكننا أن تكتشف أن المنهج الفكري النبوي يرتكز على دعائم أساسية هي التفكير العلمي، والتوازن، واحترام العقل، مما يجعله مصدر إلهام لا ينضب لتجديد الفكر الإنساني.

أولا: الاستنتاجات الفكرية من السنة النبوية

التفكير النقدي والعلمي لم تكن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم مجرد دعوة للعاطفة، بل كانت دعوة للعقل، يمكننا استنتاج العديد من المبادئ التي تؤسس المنهج فكري علمي، منها:اولا الأخذ بالأسباب حيث تحت السنة على عدم التواكل والاعتماد على الأخذ بالأسباب المادية والمنطقية، ومثال

ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي ترك ناقته بدون ربط العقلها وتوكل (رواه الترمذي)، هذا الحديث يضع قاعدة فكرية أساسية لا يمكن أن يتحقق التوكل الحقيقي إلا بعد بذل الجهد والأخذ بالأسباب المادية.ثانيا – التحقق من المعلومات أسس النبي صلى الله عليه وسلم منهجا صارما للتحقق من الأخبار قبل نشرها، وهو ما تجده قواعد علم الحديث في هذا السياق، يمكن اعتبار علم الجرح والتعديل أداة فكرية ومنهجية بالغة الأهمية في التدقيق النقدي للمعلومات، وهو مبدأ لا يزال أساسيا في البحث العلمي ثالثا التجربة والملاحظة: هناك العديد من الأحاديث التي تشجع على التجربة والملاحظة في مجالات الحياة المختلفة، مثل قصة تأبير النخل، حيث قال صلى الله عليه وسلم: أنتم أعلم بأمر دنياكم" (رواه مسلم). هذا الحديث هو اقرار صريح بقيمة الخبرة والتجربة العلمية والإنسانية "

٢ التوازن والوسطية تقدم السنة النبوية منهجا فكرنا متوازنا يرفض التطرف والغلو هذا المنهج ليس مجرد قاعدة أخلاقية. بل هو مبدأ فكري يحكم كافة جوانب الحياة:

ا – التوازن بين الروح والجسد ترفض السنة الزهد المفرط الذي يهمل حقوق الجسد أو الدنيا، كما في قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص عندما بالغ في الصيام والقيام: كان الجسدك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا .

ب التوازن بين الفرد والمجتمع تعلمنا الأحاديث أن الفرد جزء لا يتجزأ من المجتمع، وأن سعادته ونجاته مرتبطة بسعادة المجتمع وسلامته.

٣. احترام العقل والفكر تعد السنة النبوية منارة لإعمال العقل والتفكر في كل شيء هي لا تطلب من الإنسان أن يكون مجرد تابع، بل تدعوه لأن يكون مفكرا ومبدعا:

ا التفكر في الكون يدعو النبي صلى الله عليه وسلم إلى التأمل في خلق الله، ومثال ذلك الحديث: تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله (رواه الطبراني)، وهو ما يرسخ مبدأ البحث في الظواهر الكونية بدلا من الخوض في الغيبيات التي لا يمكن إدراكها.

ب تشجيع الحوار والاختلاف تقدم السنة نماذج عديدة للحوار والنقاش، مما يرسخ فكرة أن الحقيقة ليست مطلقة في كل الأحوال، وأن العقل هو أداة الوصول إلى اليقين.تظهر خلافات حول كيفية فهم وتطبيق السنة في العصر الحديث بعض الدعوات تدعو إلى القرآنية والاكتفاء بالقرآن ورفض السنة، وبعضها يطالب بإعادة قراءة السنة بما يتناسب مع العصر.في المقابل، يرى الجمهور أن السنة هي المصدر الثاني للتشريع وأنها مفسرة ومدينة للقرآن .لا توجد مصطلحات محددة ومعتمدة بشكل واسع مثل الاستنتاجات الفكرية من السنة النبوية أو الاستنتاجات الفكرية بهذا المعنى الذي ذكرته هذا النوع من التصنيف قد يكون خاضا أو تعبيرا غير شائع في الدراسات الإسلامية التقليدية. بشكل عام، يمكن اعتبار الفقه وأصول الفقه، والعقيدة، والتصوف، وعلوم الحديث، كلها استنتاجات فكرية من السنة النبوية، لأنها تمثل جهذا علميا وفكريا تفهم وتطبيق السنة النبوية في جوانب مختلفة من الحياة.تأييد ومعارضة توجد مراحل في تاريخ الفكر الإسلامي شهدت تأييدا ومعارضة الأفكار معينة، لكن لا يمكن حصرها في ثلاث مراحل قديمة ووسطى وجديدة" بالمعنى الذي ذكرته.– مرحلة التدوين المبكر : حيث بدأ العلماء بجمع الأحاديث وتصنيفها، وشهدت هذه المرحلة خلافات حول منهجية التدوين.مرحلة التأسيس الفقهي والعقدي حيث ظهرت المذاهب الفقهية والعقدية، وشهدت هذه المرحلة نقاشات وجدالات فكرية بين المذاهب المختلفة.– المرحلة الحديثة والمعاصرة: حيث ظهرت دعوات جديدة لإعادة قراءة النصوص الدينية، وشهدت هذه المرحلة خلافات حول كيفية فهم وتطبيق السنة النبوية في العصر الحديث".ولكن، لا يمكن القول إن هناك مؤيدين ومعارضين للاستنتاجات الفكرية بشكل عام، بل كان الجدل يتركز حول قضايا محددة، مثل:قضايا فقهية مثل حكم بيع العينة، أو أحكام التعاملات المالية الحديثة.قضايا عقدية مثل كيفية فهم صفات الله تعالى.قضايا حديثية مثل مدى صحة حديث معين.نجد أن الاستنتاجات الفكرية من السنة النبوية ليست مصطلحا محدنا يقدر ما هي عملية فكرية وعلمية مستمرة عبر تاريخ الأمة الإسلامية لقد تمثلت هذه العملية في جهود عظيمة لعلماء عظام قاموا بتأسيس علوم راسخة كأصول الفقه، وعلم العقيدة، وعلوم الحديث يهدف فهم وتطبيق السنة النبوية الشريفة. هذه العلوم لم تكن مجرد اجتهادات فردية، بل هي نتاج حوار فكري ونقاش علمي أثرى التراث الإسلامي، وشكل ما يمكن تسميته بالمذاهب الفكرية التي تختلف في مناهجها وتتفق في أهدافها، إن هذا التنوع الفكري لم يكن نقطة ضعف، بل كان دليلا على حيوية الفكر الإسلامي وقدرته على استيعاب كل المستجدات.

المبحث الثالث استنباط المنهجيه

بعد المنهج النبوي في التعامل مع الفكر الديني من أبرز النماذج التي تجمد التوازن بين النص الديني ومتطلبات الواقع الإنساني، فالنبي صلى الله عليه واله وسلم لم يكن مجرد ناقل للوحي، بل كان مفترا له، ومجدا لتطبيقاته في الحياة اليومية، وموجها للفكر الديني الكون وسيلة لفهم الدين لا غاية مستقلة عنه إن استنباط هذا المنهج النبوي يكشف عن جدلية العلاقة بين الدين والفكر الديني، وبين كيف استطاع الرسول الكريم أن يرسخ قواعد الفهم الصحيح، ويؤطر عملية الاجتهاد وفق معايير تحفظ أصالة الدين وتراعي حاجات الناس

أولا: الجمع بين الثبات والمرونة أحد أهم ملامح المنهج النبوي أنه لم يجعل الفكر الديني منفصلا عن الدين، بل وضعه في إطار يوازن بين الثبات في الأصول والمرونة في الفروع، فالنصوص القطعية المتعلقة بالعقيدة والعبادات الجوهرية ظلت محكومة بالثبات، بينما سمح للفكر الديني بالاجتهاد في ما يخص الجزئيات والمستجدات. وهذا ما يظهر في حديثه صلى الله عليه واله وسلم المعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن، فسأله تم نقضي، قال: لكتاب الله قال فإن لم تجد، قال: لسنة رسول الله، قال: فإن لم تجدا، قال: اجتهد رأبي ولا الوا، فقال: الحمد الله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله رواه أبو داود. هذا الحديث يكشف بوضوح كيف وجه النبي الفكر الديني إلى الاعتماد على النص أولاء تم الاجتهاد المنضبط ثانيا، في منهج يوازن بين الثبات والمرونة.ثانيا: مراعاة مقاصد الشريعة المنهج النبوي في التعامل مع الفكر الديني كان قائما على مراعاة المقاصد الكبرى الشريعة: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، فقد كان الرسول صلى الله عليه واله وسلم يربط بين النصوص والغايات الكلية، حتى لا يتغلق الفكر الديني في الجزئيات ويغفل عن روح الدين. فمثلا، حين اشتكى بعض الصحابة أن أحدهم يواصل الصوم دون القطار، وآخر يقوم الليل كله، وثالث لا يتزوج النساء.أذكر عليهم النبي وقال: فمن رغب عن سنتي فليس مني الرواه البخاري ومسلم، مبينا أن الفكر الديني. المنفصل عن مقاصد الاعتدال والتوازن بعد انحرافا عن النهج الصحيح.ثالثا : فتح باب الاجتهاد وضبطه لم يكتف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتوضيح الأحكام، بل وجه أصحابه إلى التفكير والاجتهاد بما يتناسب مع النصوص وظروف الواقع، غير أنه وضع ضوابط دقيقة للاجتهاد، حتى لا يتحول إلى الية عشوائية، ففي قضية صلاة العصر في بني قريظة، قال لهم: لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة الرواه البخاري ومسلم)، فاختلف الصحابة: فمنهم من صلى في الطريق باعتبار أن المراد الاستعمال، ومنهم من لم يصل إلا عند الوصول، ولم يخطئ النبي أيا من الفريقين، مما يبين أن المنهج النبوي يعترف بتعددية الفهم إذا كان منطلقه إخلاص الاجتهاد للنص.رابعا: ربط الفكر الديني بالأبعاد الأخلاقية منهج النبي في التعامل مع الفكر الديني لم يكن فقهنا مجرداء بل أخلاقيا وإنسانها في جوهره. فقد أكد أن الغاية من الفكر الديني ليست إنتاج الجدل أو التعصب، وإنما توجيه الإنسان نحو مكارم الأخلاق، فقال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق الرواه أحمد)، وهذا يوضح أن الفكر الديني عند انفصاله عن الأخلاق يتحول إلى أداة للجدال العقيم، أما حين يكون متصلا بالقيم، فإنه يصبح وسيلة لفهم الدين على نحو يحقق الرحمة والعدل.خامسا: التربية على الحوار وتقبل التعددية من أبرز معالم المنهج النبوي أنه أسس الفكر ديني قائم على الحوار وقبول الرأي الآخر ما دام منضبطا بالشرع فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يستمع إلى أصحابه، ويأخذ بأرائهم أحيانا، كما حدث في غزوة بدر حين أخذ برأي الحباب بن المنذر في تحديد موقع الجيش، وهذا يوضح أن الفكر الديني في المنهج النبوي أيس إقصائيا، بل تشاركيا، مما يعكس مرونة الذين وقدرته على مواكبة التحديات. "ان استنباط المنهج النبوي في التعامل مع الفكر الديني يكشف عن رؤية متكاملة تجمع بين النص والمقصد الثبات والمرونة الاجتهاد والانضباط الفكر والأخلاق الفرد والجماعة، وهو منهج يجعل الفكر الديني أداة لفهم الذين وتنزيله في الواقع، لا مناقضا له أو بديلا عنه، وهذا المنهج النبوي يظل مرجعا دائما لكل محاولة معاصرة التجديد الفكر الديني وتوجيهه نحو خدمة مقاصد الشريعة وتحقيق مصالح الإنسان.المنهج النبوي في التعامل مع الفكر الديني ليس مجرد مجموعة من القواعد الجامدة، بل هو إطار عمل شامل يجمع بين البناء الروحي والتعامل العقلي، معتمدا على مبادئ ثابتة من الرحمة والحكمة. يمكن استنباط هذا المنهج من خلال عدة محاور أساسية، يكمل بعضها بعضا.منهج البناء والتركية الروحية تركية النفوس كانت حجر الزاوية في المنهج النبوي، لم يكن النبي يتعامل مع الأفكار بمعزل عن حامليها، بل كان يركز على بناء الإنسان من الداخل، من خلال: – تأسيس العقيدة الصحيحة: كان أول ما بدأ به النبي = في دعوته هو ترسيخ مبدأ التوحيد. وتحرير العقول من الخرافات والأوهام.التركيز على الأخلاق ربط المنهج النبوي بين الإيمان والأخلاق الحسنة، فكان يقول: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.العيادة كادة للتطهير العبادات لم تكن مجرد طقوس، بل كانت وسيلة التركية النفس وتقوية صلتها باله

٢ منهج الحوار والإقناع العقلي لم يكن المنهج النبوي يعتمد على الإكراه، بل على الإقناع القائم على الحجة والبرهان.الحكمة والموعظة الحنة استخدم النبي أسلونا حكيما في دعوته، بعيدا عن الغلظة والفظاظة. كما قال تعالى: الذع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة.الحوار الهادي: كان النبي يحاور أصحاب الأفكار المخالفة بهدوء، ويستمع إلى شبهاتهم ثم برد عليها بالحجج المنطقية، مثل حواره مع وقد تهران.

احترام العقل: كان المنهج النبوي يخاطب العقل ويدعو إلى التفكر والتدير في آيات الله في الكون والنفس.

٣ منهج التدرج والرحمة في التطبيق أدرك النبي أن التغيير الفكري يحتاج إلى وقت وصير التدرج في التشريع: لم يفرض الإسلام أحكامه دفعة واحدة، بل جاءت بشكل تدريجي، مراعاة الحال الناس الرحمة والتيسير : كان النبي – يختار دائما أيسر الأمرين ما لم يكن إثناء وكان منهجه قائما على التيسير ورفع الحرج.معالجة الأخطاء باللين: لم يكن النبي يعنف من يخطئ، بل كان يوجهه يوفق ولين، كما في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، حيث لم ينهره، بل طلب من أصحابه أن يتركوه، ثم أمرهم أن يصبوا على بوله سطلا من ماء.هذه المحاور الثلاثة تقدم إطارا شاملا

للتعامل مع الفكر الديني، يمكن البناء عليها في معالجة القضايا الفكرية المعاصرة، من خلال العودة إلى جوهر هذا المنهج في البناء، والجوار، والرحمة "مبادئ المنهج النبوي في التعامل مع الفكر إن المنهج النبوي في التعامل مع الفكر الديني يمثل الإطار الأصيل لفهم النصوص الشرعية وتنزيلها في الواقع، وهو منهج لم بين على المصادقة ولا على الاستجابة العابرة للأحداث، وإنما تأسس على مبادئ راسخة تعكس شمولية الرسالة الإسلامية ومرونتها في مواجهة التحديات، فقد جمع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين مرجعية النصوص القطعية التي تشكل جوهر الدين، وبين تحميل ملكة العقل والاجتهاد المنضبط الذي يعين على فهم هذه النصوص في ضوء المتغيرات، ومن خلال استقراء سيرته وأحاديثه، يمكن استنباط جملة من المبادئ التي أسست لهذا المنهج وأعطت الفكر الديني مساره الصحيح.من أبرز هذه المبادئ مبدأ التوازن بين النص والاجتهاد. فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد دائما أن المرجع الأول للفكر الديني هو القرآن الكريم والسنة النبوية، ولكنه لم يحصر الفهم في دائرة النصوص الجامدة، بل فتح المجال أمام الاجتهاد حين تغيب النصوص التفصيلية أو عندما تستجد الوقائع، ويتضح ذلك جليا في موقفه مع معاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن، فسأله: لم نقضي، فأجاب: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد ؟، قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد ؟، قال: أجتهد رأيي ولا الو، فوافقه النبي بقوله: الحمد الله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله. إن هذا الموقف يكشف عن قاعدة ذهبية في الفكر الديني الانطلاق من النصوص أولاء ثم الانتقال إلى الاجتهاد العقلي المنضبط ثانيا، وهو ما يجعل الفكر الديني أداة لفهم الدين لا بديلا عنه ١٢ كما يقوم المنهج النبوي على مبدأ مراعاة مقاصد الشريعة، فالنبي صلى الله عليه واله وسلم لم يكن يقتصر في تعليمه على شرح الأحكام الفرعية، بل كان يربطها بالمقاصد الكلية الشريعة، والتي تقوم على حفظ الضروريات الخمس الدين، والناس، والعقل، والنسل، والمال، ومن الأمثلة البارزة على ذلك موقفه من الصحابة الذين غلوا في العيادة، حيث قال بعضهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر"، وقال آخر : وأنا أقوم ولا أنام، وقال ثالث: وأنا لا أتزوج النساء، فأنكر عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقال: أما إني أصوم وأقطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني، هذا الموقف النبوي يوضح أن الفكر الديني الصحيح لا يقوم على التشدد والانفصال عن الفطرة الإنسانية وانما يحقق التوازن الذي يحفظ مصالح الإنسان الروحية والجسدية والاجتماعيةويقوم المنهج النبوي كذلك على مبدأ ربط الفكر الديني بالأبعاد الأخلاقية والإنسانية، فلم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يجعل من النصوص الشرعية مجرد أدوات للجدل أو التنظير، بل كان يؤكد أن الغاية الأسمى من الذين والفكر الديني هي بناء الإنسان الخير الذي يتحلى بالقيم والمبادئ، وقد لخص ذلك في قوله: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، ومن خلال هذا المبدأ يتضح أن الفكر الديني، مهما اتسع في الاجتهاد أو تعمق في الاستدلال، يظل عديم الفائدة إذا لم يكن مرتبطا بالقيم الأخلاقية التي تحقق الرحمة والعدل والإحسان ومن المبادئ المهمة أيضا مراعاة الواقع وتغيراته، فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتعامل مع الأحداث وفق معطياتها، ويراعي الظروف الاجتماعية والإنسانية المحيطة، ففي حادثة الأعرابي الذي بال في المسجد، لم يعامله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتعنيف أو العقوبة الشديدة، وإنما عالج الأمر بالحكمة والرحمة، فقال لأصحابه لا تزرموه أي لا تقطعوا عليه بوله، ثم أمر يسكب دلو من الماء على مكانه، هذا الموقف يعكس أن المنهج النبوي يربي الفكر الديني على فقه الواقع وحسن تنزيل الأحكام بما يتناسب مع الظروف بعيدا عن الجمود أو التشدد الذي قد يسيء إلى صورة الدين.ويقوم المنهج النبوي أيضا على التربية على الجوار وتقبل التعددية في الفهم، فقد كان صلى الله عليه واله وسلم يشجع أصحابه على إبداء أرائهم، ويقر اختلافهم ما دام منطلقا من النصوص وروحالاجتهاد، ومن الأمثلة على ذلك حادثة صلاة العصر في بني قريظة، حيث أمر النبي: لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة أرواه البخاري ومسلم)، ففهم بعض الصحابة أن المقصود الاستعمال فقط فصلوا في الطريق، بينما تمسك آخرون بظاهر النص فلم يصلوا إلا عند الوصول، ولم يعترض النبي على أي من الفريقين، وهو ما يبين أن تعددية الفهم المقبول تدخل في صميم المنهج النبوي. وتدل على أن الفكر الديني لا ينبغي أن يكون أحاديا أو إقصائيا، بل يقوم على سعة الصدر واحترام الاجتهاد ١٤وبذلك يمكن القول إن مبادئ المنهج النبوي في التعامل مع الفكر الديني هي مبادئ شاملة، توازن بين النص والاجتهاد، وبين الثبات والمرونة، وبين الجزئيات والمقاصد، وبين الفقه والأخلاق، وبين التوجيه الفردي ومتطلبات المجتمع، وهي مبادئ تجعل من الفكر الديني قوة حية قادرة على خدمة الدين ومواكبة الواقع، دون أن تنفصل عن روح النصوص أو تتغلق عن حاجات الإنسان، ومن خلال هذه المبادئ الراسخة يمكن استنباط أن الفكر الديني في المنهج النبوي لم يكن يوما غاية في ذاته. وانما وسيلة لفهم الدين على نحو يحقق التوازن بين الدنيا والآخرة، وبين مصالح الفرد والجماعة، وبين الثوابت الشرعية والظروف المتغيرة.يعد المنهج النبوي في التعامل مع الفكر الديني إطارا تربويا فريقاء يجمع بين الأصالة والعقلانية. ويقدم نموذجا عمليا لمعالجة القضايا الفكرية المختلفة. لم يكن هذا المنهج مجرد مجموعة من القواعد النظرية، بل كان ممارسة يومية قائمة على مبادئ ثابتة، أثرت في بناء شخصية المسلم وتكوين وعيه. يهدف هذا المبحث إلى استقراء هذه المبادئ الأساسية التي شكلت جوهر المنهج النبوي، وكيفية تطبيقها في مواجهة التحديات الفكرية انذاك، لتكون تيرانا يهتدى به في معالجة القضايا المعاصرة مرونة الفكر الديني في ضوء السنة المرونة في

الفكر الديني هي القدرة على التكيف والتأقلم مع المستجدات الحياتية والفكرية، مع التمسك بالثوابت الأساسية للشريعة هي نهج يوازن بين الأصالة والمعاصرة، ويسمح بتفسير النصوص الدينية بما يتلاءم مع ظروف العصر دون الخروج عن مقاصد الشريعة.الفكر الديني الإسلامي، كما تجسد في السنة النبوية الشريفة، ليس حامنا بل هو نبع متجدد من المعاني والمقاصد. فالمرونة هي سمة أساسية في هذا الفكر، وتتجلى في قدرته على استيعاب التغيرات ومواكبة تطورات الحياة مع الحفاظ على الأصول والثوابت.إن فهم هذه المرونة يتطلب الغوص في نصوص السنة النبوية، التي تعد المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، فالنبي ، في أقواله وأفعاله وتقريراته، قد أرسى منهجا فكرنا يتميز بالبسر ورفع الجرج، وهو ما يفسح المجال للاجتهاد والتجديد.المرونة في الفكر الديني في ضوء السنة النبوية تتضح المرونة في الفكر الديني من خلال عدة مظاهر في السنة النبوية، أهمها:قاعدة التيسير ورفع الحرج من أهم سمات الشريعة الإسلامية في يسرها ورفع الحرج عن المكلفين، وقد ورد في السنة النبوية أحاديث كثيرة تؤكد هذا المبدأ، مثل قوله : تتروا ولا تعترواء وبشروا ولا تتقروا (صحيح البخاري (٦١). هذا الحديث يضع قاعدة عامة للفكر الديني، وهي أن يكون التيسير هو الأساس، وليس التصير الاجتهاد والتجديد: شجعت السنة النبوية على الاجتهاد في فهم النصوص واستنباط الأحكام. فعندما بعث النبي معاذ بن جبل إلى اليمن، سأله: أيم تحكم ؟ قال بكتاب الله، قال: فإن لم تجد ؟ قال: لسنة رسول الله قال فإن لم تحد؟ قال: أجتهد رأيي ولا الو" (مسند أحمد، ٢٢٠٦١). هذا الحوار يؤكد أن الاجتهاد هو مسار مشروع عندما لا يوجد نص صريح، مما يفسح المجال لتجديد الفكر الديني بما يتناسب مع المستجدات.مراعاة الأعراف والمصالح: ثم تغفل السنة النبوية عن أهمية مراعاة الأعراف والمصالح المتغيرة. ففي كثير من المواقف، كان النبي يراعي خصوصية المجتمع والزمان والمكان في أحكامه، فمثلا كان النبي ينهى عن الاحتكار، وهو ما يتغير شكله وأساليبه عبر العصور، لكن مبدأ منع الضرر عن الناس يظل ثابتا. ١٩ ١٥ المرونة في الفكر الديني ليست دعوة للتنازل عن الثوابت، بل هي فهم عميق المقاصد الشريعة. التي جاءت لتيسير حياة الناس، ورفع الحرج عنهم، وتحقيق مصالحهم إن إعادة إحياء هذا المفهوم في ضوء السنة النبوية بعد ضرورة ملحة لمواجهة التحديات المعاصرة، وتجديد الخطاب الديني ليكون قادرا على إقناع العقول والقلوب فالإسلام في جوهره، هو دين يسر وسعة، ومنهج حياة صالح لكل زمان ومكان.

النتائج:

١ تمييز جوهري بين الدين والفكر الديني: يتبين من خلال الدراسة أن الدين – بما يمثله من نصوص ثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة – يمثل مرجعية مطلقة وثابتة، في حين أن الفكر الديني هو نتاج اجتهادي بشري يتأثر بظروف الزمان والمكان والثقافة، ومن هنا فإن الخلط بينهما يقود إلى إشكاليات معرفية ومنهجية.

٢ السنة النبوية معيار لفهم صحيح الدين أظهرت السنة النبوية أنها المصدر التفسيري والتطبيقي الأمثل لفهم الدين، فهي التي جسدت مبادئ القرآن الكريم عمليا، وبالتالي فإن أي فكر ديني لا يستقيم ما لم يعرض على ما صح من سنة الرسول ..

٣ الفكر الديني نسبي بينما الدين مطلق: أكدت الدراسة أن الدين في جوهره ذو طبيعة مطلقة غير قابلة للتغيير ، بينما الفكر الديني متغير نسبي، قابل للنقد والتطوير والمراجعة، وهذا التمييز يفتح المجال أمام تجديد الخطاب الديني دون المساس بجوهر الدين.

٤ الدين يوحد والفكر الديني قد يفرق بينت النتائج أن الدين في أصله يوخذ الأمة على أساس العقيدة والقيم العليا، أما الفكر الديني فقد يكون سببا في التعددية الفكرية والاختلافات المذهبية. مما يستدعي التعامل مع الفكر البشري بوصفه اجتهاداً وليس دينا ملزما.

السنة النبوية ضابط للتجديد والاجتهاد: أثبتت السنة النبوية أن التجديد في الفكر الديني ممكن بل ومطلوب شرط أن يبقى منضبطاً بحدود النصوص الشرعية، فقد كان النبي = يقر الاجتهادات الصائبة ويصحح الخاطئة، مما يؤك مرونة الفكر الديني في ضوء ضوابط الشرع.

٦ الفكر الديني العكاس للواقع الاجتماعي: تظهر الدراسة أن الفكر الديني لا ينفصل عن ظروف الواقع التاريخي والاجتماعي والسياسي، بينما الدين ثابت لا يتغير بتغير الأوضاع، وهذا يفسر تعدد المدارس الفكرية في الفقه والتفسير والكلام، رغم مرجعيتها الواحدة.

وجوب إعادة الاعتبار التفريق بين الدين والفكر الديني خلصت النتائج إلى أن واحدة من أهم إشكاليات الواقع المعاصر في مساواة الفكر الديني بالدين ذاته، وهو ما أدى إلى الجمود الفكري أحيانا أو التطرف أحياناً أخرى ومن هنا تبرز الحاجة إلى خطاب يميز بين الثابت والمتحول.

لا إعلاء قيمة الوسطية والاعتدال: أوضحت السنة النبوية أن الوسطية والاعتدال تمثلان جوهر الدين، وهو ما يجب أن يعكسه الفكر الديني أيضا، بحيث يتجنب الغلو والتفريط.

و الدين أساس القيم الكونية، والفكر الديني وسيلة لفهمها تبين أن الدين يضع المبادئ الكلية كالعدل، الرحمة المساواة)، بينما الفكر الديني يحاول ترجمتها إلى اليات وممارسات عملية. وهو ما يصر التباين بين التجارب الفكرية عبر التاريخ..١٠٠

الجدلية بين الدين والفكر الديني نيست صراعاً بل تكاملاً خلصت الدراسة إلى أن العلاقة بين الدين والفكر الديني ليست علاقة خصومة أو تعارض بالضرورة، بل علاقة جدلية تكاملية، فالدين هو المصدر والفكر هو الوسيلة تفهمه، شرط أن يظل الفكر خاضعا الميزان النصوص الشرعية.

قائمة المصادر والمراجع:

١ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم ٢٣٦٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١م.

٢ ابو داود، سنن أبي داود، كتاب الأقضية، حديث رقم ٣٥٩٢، بيروت: دار الرسالة العالمية ٢٠٠٩م

ابو داود، سنن أبي داود، كتاب الأقضية، حديث رقم ٣٥٩٢، بيروت: دار الرسالة العالمية.

٢٠٠٩م، حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، القاهرة: دار الريان التراث ١٩٨٩م

الغزالي، المستصفى في أصول الفقه، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م

الشاطبي، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن السعودية دار ابن عفان، ١٩٩٧م.

٦ ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٩٧م.

٧ مرتاض، عبد الملك (١٩٩٨م). في نظرية الزواية بحث في المنيات السرد الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

منتهى الدراية في توضيح الكفاية، أمحمد جعفر الجزائري المروج (١٤١٩هـ)، تحقيق: محمد علي الموسوي المروج الناشر فقاعة، في ط٢، ١٤١٣هـ

و الشيخ الصدوق، معاني الأخبار تعليق على أكبر غفاري المكتبة الشيعية، مصادر الحديث الشيعية، ١٣٧٩هـ.

١٠ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت. دار المعرفة، د.ت.

١١ القوال، صلاح مصطفى (١٩٨٢هـ)، مناهج تفسير الحديث، بيروت: دار عالم

١٢ عمارة، محمد، ١٩٩١، تيارات الفكر الإسلامي، القاهرة دار الشروق الطبعة ٢

١٣ ابن عبد البر يوسف بن عبد الله (١٩٦٨م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب.بيروت: دار الجيل.

١٤ أومليل، علي (١٩٩٦م)، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

١٥ البغدادي، عبد القاهر (٢٠٠٠م). الفرق بين الفرق القاهرة: مكتبة ابن سينا.

هوامش البحث

ا مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم كتاب الفضائل، حديث رقم ٢٣٦٣ بيروت على إحياء التراث العربي ١٩٩١م

ابو داود بن أبي داود، كتاب الأقضية، حديث رقم ٣٥٩٢ يروت: دار الرسالة العلمية، ٢٠٠٠م

الو ولون معن أبي داود، كتاب الأقضية حديث رقم ٣٥٩٢، يروت: دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م، حجر العسقلاني، فتح الباري

شرح صحيح البخاري القاهرة دار الريال القوات ١٩٨٩ م ٥ من ٢١ الغزالي المستصفى في أصول الفقه وات دار الكتب العلمية، ١٩٩٣، ج ١، من ١١٢، القاضي الموافقات، تحقيق مشهير من حسين السعودية دار ابن عفات ١٩٩٧ ب ج ٥

من ٤٥، ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، بيروت على الأفاف الجديدة ١٩٩٧م من ٥٤

مرتاضي، عبد الملك (١٩٩٨) في نظرية الرواية تحت في تقنيات الجرد الكويت سلسلة عالم المعرفة، من ٩٩-١٠١ النظرة المصدر الساعية من ١٠٣ – ١٠٦ (تصرف)منتهى الدراية في توضيح الكتابة المحمد جعفر الجزائري الخروج ١٤١٩١ هـ)، تحقيق محمد على الموسوي الملاح الناعم فقاعة في ٢٣١ ١٤١٣ مع أمي

الشيخ الصدوق معاني الأخبار، تعليق على أكبر مقاري الكلية الشيعية، مصادر الصدر السابق من ١١٩ ١٧٤ شيعيد، ١٣٧٩ء ص

ينظر الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم المال والنحل تحقيق محمد سيد گيلان بوون، دار المعرفه

القوال، صلاح مصطفى (١٩٨٢م)، منافع تفسير الحديث يروت: دار عالم الكتب من ١٤٠-١٣١ (ملخص)

عمارت محمد ١٩٩١ تمارات الفكر الإسلامي القاهرة دار الشروق الطبيعة ٢، من ١٧٦

ا ينظر ابن عبد الود يوسف بن عبد الله (١٩٦٨م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب بدون دار الجيل من ٧٨-٩٠

بنظرة أومليل على (١٩٩٦م) السلطة القافية والسلطة السياسية بروات مركز دراسات الموحدة العربية، من ١١٩-١٣٠ البغدادي، عبد القاهر (٢٠٠٠) الفرق بين الفريق القاهرة مكتبة ابن سيناء من ٩٧-١٠١ (تلخيص)